مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

المفارقة وبنية السرد دراسة في نماذج من الشعر الكربلائي المعاصر

م.م.مروة صباح مال الله ا.د.رفل حسن طه
كلية التربية للعلوم الانسانية

التخصص العام للبحث: أدب	التخصص الدقيق للبحث: أدب حديث

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

المفارقة، كسر افق التوقع، الشعر الكربلائي المعاصر

المستخلص باللغة العربية:

المفارقة هي فعل ذهني مرتبط بأساس جوهري وعميق في النفس التي تصوغه، مما يجعل بناء النص على المفارقة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بقضيةٍ ذات التصاق بالفكر الإنساني، وما يحيط به من وجود، ولا تغيب عن أحداثه ومكوناته صفة التناقض والتضاد والسخرية، فهي ضرب من التأنّق اللغوي، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن طرق استعمالها في اللغة الحديثة للدلالة على الآراء المخالفة للمعتقدات المألوفة، أو الرأي الغريب الذي لا يعتقده صاحبه، ولكنَّه يدافع عنه أمام الناس ليحملهم على الإعجاب به، يستعملها الأدباء والشعراء وكل من يمارس الفن كتقنية فنية عندما تفشل كل وسائل الإقناع، وتستهلك الحجج ويخفق النقد الموضوعي، فهي جوهر الحداثة والانفتاح، وهي قادرة على إقامة عالم جديد مُتخيل على أنقاض عالم الواقع المعيش، ولأهميتها في الدرس النقدي الحديث اتخذها هذا البحث موضوعًا يستمد شواهده من الشعر الكربلائي المعاصر على وفق المنهج الفني التحليلي، ومن خلاله توصل البحث إلى أن لمفارقة في الشعر الكربلائي لم تكن فائضًا لغويًا بل كانت تقنية سردية محكمة البناء يوظفها الشاعر للهروب من الذاتية والغنائية، وقد اعتمدت هذه الدراسة على الدراسات نقدية سابقة مثل المفارقة وصفاتها لميويك، و المفارقة في الشعر العربي الحديث لناصر يوسف، وغيرها من الدراسات المهمة. وقد قسم هذا البحث إلى مدخل يتناول المفارقة، ومبحثين تناولنا في المبحث الأول المفارقة وكسر افق التوقع، والمبحث الثاني انماط المفارقة.

doi: xx.xxxx

المدخل: المفارقة وأهمية توظيفها في البنية السردية الشعرية

المفارقة غالباً ما تستعمل في الجانب السردي لأنها تحتاج الى مساحة أوسع لذلك تتلاءم مع نصوص السرد في الشعر، ويحمل مصطلح المفارقة مجموعة كبيرة من الظواهر اللغوية والفنية، وهذا ما يجعل تحديد مفهوم شامل لها يتسم بالتعقيد الشديد (قاسم، 1982، صفحة 144)، فهي "فعل ذهني مرتبط بأساس جوهري وعميق في النفس التي تصوغه، مما يجعل بناء النص على المفارقة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بقضيةٍ ذات التصاق بالفكر الإنساني، وما يحيط به من وجود، ولا تغيب عن أحداثه ومكوناته صفة التناقض والتضاد والسخرية" (الرواشدة، صفحة 14)، فهي ضرب من التأنّق اللغوي، من الناحية الأسلوبية تهدف إلى "إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيرًا، وصاحب المفارقة المتمرّس يستعمل من الإشارات أقلها" (ميويك، 1982،صفحة63)، وهذا ما جعلهم يصفونها بأنَّها "لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيداً" (قاسم، 1982، صفحة 143)، وقد شاع استعمالها في اللغة الحديثة للدلالة على الآراء المخالفة للمعتقدات المألوفة، أو الرأي الغريب الذي لا يعتقده صاحبه، ولكنَّه يدافع عنه أمام الناس ليحملهم على الإعجاب به (صليبا، 1982، صفحة 402)، يستعملها الأدباء

والشعراء وكل من يمارس الفن كتقنية فنية عندما تفشل كل وسائل الإقناع، وتستهلك الحجج ويخفق النقد الموضوعي، وما يقربها من تقنيات السرد التي تهدف بمجملها من نزع العاطفية المفرطة التي لا يحبذها الشاعر المعاصر؛ لأنَّها جوهر الحداثة والانفتاح، ولأنَّها وحدها قادرة على إقامة عالم جديد مُخيل على أنقاض عالم الواقع المعيش، وهذا الانهدام لعالم الواقع والبناء في عالم الخيال هو خطوة ضرورية ودقيقة في طُرق التغيير (اليوسفي، 1985، صفحة 30)، ويتلمس الباحث وجودها في أقدم الآداب الإنسانية، وهي تشير إلى أسلوب مراوغة (ميويك، 1982، صفحة 6).

المبحث الأول: المفارقة وكسر افق التوقع:

كسر أفق التوقع هو واحد من المفاهيم الجمالية التي لها علاقة ببناء النص الشعري؛ لأنَّه متعلق بمدى استجابة المتلقي للحدث انطلاقًا من فكرة النص التي يعرضها الأديب وصولًا إلى إحداث عنصر المفاجأة الذي ينزاح عن تطلعات المتلقي لما تؤول إليه الأحداث، ويرسم مسارًا آخر يكسر فيه الأديب أفق توقعات المتلقين، ويحقق عنصر الدهشة لديهم بما يمنحهم من شعور بالرضا أو حتى الخيبة، ويرتبط أفق التوقع بنظرية الأجناس الأدبية والتداخل الأجناسي في أنَّ "أفق الانتظار ذاك الذي يتكون عند القارئ من خلال تراث أو سلسلة من الأعمال المعروفة السابقة، وبالحالة الخاصة التي يكون عليها الذهن وتنشأ مع بروز الأثر الجديد عن قوانين جنسه وقواعد لعبته... فان كل أثر أدبي ينتمي إلى جنس، وهذا ما يعود الى التأكيد على أن كل أثر يفترض أفق انتظار بمعنى مجموعة من القواعد السابقة الوجود توجه فهم القارئ (الجمهور) وتمكنه من العمل بشكل تقيمي" (محمد، 2002، صفحة 21). ومن أمثلة كسر أفق التوقع في الشعر الكربلائي قول الشاعرة سليمة سلطان نور (نور، 2014، صفحة 45):

ونتملق الرب إلهنا الواحد الماجد

بأدعية الغفران

وأدعية النسوان

ونرتل أمّن يجيب المضطر أمّن يجيب أم من ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ أمن

اااااااااااممممم

لكن الزورق يغرق

ويحمل النهر أرواح من ماتوا

ويمضي إلى البحر

.....

إنَّ كسر أفق التوقع والانتظار يعدان جوهر التقنية الجمالية للمفارقة، فكلما اتسعت الهوة بين ما يتوقع حدوثه وبين ما يحدث فعلاً تبدو المفارقة أكثر وضوحًا وتأثيرًا، فشدة التضاد والتنافس بين المعنيين، تدفع بالمفارقة إلى ذروتها الفنية والفكرية؛ والمفارقة تقدم بلا تحيز وجهتي نظر متعادلتين متعارضتين... وإن التفريق هو أبرز ما يتخذ صفة المفارقة (ميويك، 1982، صفحة 38)، وفي هذا النص قصدت الشاعرة إبراز هذه المفارقة عندما قدمت النص بالأدعية المأثورة للنجاة، لكن أفق التوقع انكسر وتحول من توقع النجاة إلى الغرق وضياع الأرواح في البحر الواسع، وما يزيد جمالية الصورة أن بنية النص كشفت عن هذه المفارقة وانكسار توقع النجاة عبر سلسلة من الدوال اللغوية، وكأنَّها تستنفذ كل ما لديها للنجاة فبدأت بالآيات، ثم أدعية النسوان– وهي رمز لاستجابة أدعية الامهات- ثم دعاء المضطر المأثور من القرآن الكريم ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النحل62)، الذي بدأ بالتلاشي شيئًا فشيئًا، كتلاشي الأمل بالنجاة، حتى وصل إلى مرحلة الغرق والتيقن بالهلاك، فظهرت جمالية المفارقة عندما كسرت أفق التوقع بالنجاة واظهرت حتمية الهلاك.

ويقترب مفهوم السخرية كثيراً من مفهوم المفارقة، حتى أنَّ العديد من المختصين عرف أحدهما بالآخر، فصاروا يستعملون (المفارقة الساخرة) للدلالة عليهما معًا. وتعرف السخرية بأنَّها، "ضرب من قلب المعنى وشكل بياني قوامه إبلاغ ما يراد قوله من خلال قول العكس بالتحديد مع قصد التهكم أو الطعن" (لالاند، 2001، صفحة 708)، وتعرف تارة بأنَّها استعمال الكلمات لنقل معنى يناقض المعنى الحرفي لها، أو تعبير يظهر تناقضًا متعمدًا بين المعنى والواقع المقصود، أوهي أسلوب أدبي يستعمل النقائض لإحداث أثر بلاغي أو هزلي (نصار، 2011،

صفحة 155)، وعلى اختلاف تعاريفها لا تخرج عن المعنى العام للمفارقة. تعد المفارقة الساخرة واحدة من أهم الظواهر الاسلوبية في الشعر العراقي المعاصر، فهي "التقانات الأسلوبية، أو الآليات البلاغية المهمة في خلق المفارقة؛ لأنَّه عندما يتخذ الشاعر من نصوصه الشعرية وسيلة للسخرية أو التهكم، ينتقل بالألفاظ من سياقها الطبيعي إلى سياق آخر مناقض لها، وكذلك تُعد المفارقة الساخرة من أهم مزايا النص الشعري في القصيدة الحديثة، ومن أهم أساليب التعبير التي يستعملها الشعراء خاصة للتعبير عن القضايا السياسية والاجتماعية، ولا يكون الهدف منها إثارة الضحك كما هو الحال في الهجاء في الشعر العربي القديم، بل هي مفارقة مرة تولد من رحم الواقع الصعب الذي يعيشه الشاعر، ويثور عليه، وينقده بتهكم ساخر" (دويل و رفل ، 2022، صفحة 67)، والسخرية من أساليب اللغة النثرية قبل أن تكون سمة للشعر، لأنَّ "تميز اللغة النثرية عن نظيرتها الشعرية باختلاف الأساليب في الفن القصصي والتي تنهض بتمثيل اختلاف اللغات الاجتماعية والجنسية والاثنية والطبقية والمهنية والاسلوب الملحمي الرفيع ولغة المحاضر البرلمانية، واللغة القضائية، واشكال التحقيق الصحفي، وتقولات النمامين وكلام أدعياء العلم، واسلوب الوعظ الأخلاقي المنافق" (ابراهيم، صفحة 433).

فالمفارقة عند (دي. سي. ميويك) هي "قول المرء نقيض ما يعنيه، أو إنها إن تقول شيئا وتقصد غيره، أو سخرية وهزءاً ثم صارت تفيد معنى التظاهر أو المحاكاة الساخرة" (ميويك، 1982، صفحة 29).

وقد شكلت المفارقة الساخرة رفضًا للواقع من دون أن تخلق حالة مواجهة أو صدام (فهد و شيماء، 2012، صفحة 402)، فالشعر المعاصر امتد ليشمل شؤون الحياة اليومية، بكل ما يعتريها من شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد وحتى الأخلاق، ومن أمثلة المفارقة الساخرة في الشعر الكربلائي قول الشاعر حسين الدايني (الدايني، 2018، صفحة 14):

في (قصعته) يرى

ظلالًا لأكف الذين ماتوا

ترددُ صوت مضغهم

الباقون مشغولون ببطونهم

ينتقد الشاعر الداني واقع الحرب المرير، ويرسم صورة سردية قائمة على ثنائية ضدية بين حالتين تشهدهما حالة الحرب، الحالة الأولى تصور شخصًا يعاني من القلق ويعيش حالة المأساة وهو يرى ظلالًا لرفاقه الذين راحوا ضحية الحرب، وكأنَّهم يعيشون بينهم، أمّا الصورة الثانية لبقية الجنود الذين يأكلون ما في قصعتهم دون أن يهتموا لمن مضى من الأصدقاء، وهنا تكمن المفارقة بين من ينشغل تفكيره بمن مضوا، وبين من ينشغلون بملء بطونهم دون أن يفكروا بمستقبلهم ومصيرهم في هذه الحرب التي لا يضمن فيها الإنسان بقاءه لتناول قصعة أخرى، وتتشكل مثل هذه المفارقة الساخرة عند الشاعر حسين الدايني في قوله (الدايني، 2018، صفحة 16):

أخيرًا

جاءتك اللحظة

لتكون تابوتًا مهملًا

في زمن الحرب

صورة أخرى تكشف عن مرارة الحرب وعبثيتها قائمة على ثنائية ضدية تحمل طابع السخرية المأساوية، عبر صورة مجازية باعتبار ما يكون وهو النظر إلى المستقبل، وذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه، فيرى راوي النص/ الشاعر نفسه ميتًا وملقى في تابوتٍ لا يلتفت إليه أحد كباقي التوابيت المهملة في ذلك الزمن.

وتتخذ المفارقة الساخرة سمة اسلوبية عند الشاعر حسين الدايني وهو يصور المأساة التي يعاني منها العراقيون في زمن الحرب إذ يقول (الدايني، 2018، صفحة 20):

كنا نشم رائحة فرح

عندما تسقط الشظايا

على أسقف مواضعنا

مثل (هلاهل) ليلة عُرس

(فصلية).

وهذه من المفارقات الساخرة التي تستمد لغتها من الواقع المجتمعي العراقي، إذ ارتبطت هذه المفارقات الساخرة بصورة الحرب، إذ يجسد الشاعر الفرح ويجعله محسوسًا يدرك بالشم، فالحرب تفرض حالة من القلق والترقب تجعل الحواس مستنفرة لإدراك ما يحصل، فوقع الشظايا على أسقف المواضع تشبه وقع الهلاهل في عرس فتاة فصلية، والتشبيه هذا يصور حالة القلق والترقب والرؤية السوداوية للمستقبل القريب، وهنا سخرية القدر التي قلبت هلاهل الفرح إلى نذير شؤم، عندما صورت الجندي في ساحة المعركة الفتاة الفصلية التي سيقت إلى دار زوجها الجديد رغمًا عنها.

المبحث الثاني: أنماط المفارقة

ينظر البحث إلى المفارقة بوصفها خروجًا عن الشائع، وانزياحًا عن المألوف، فهي تنحاز إلى اللامعقول، لذا وجد فيها الفنانون بشكل عام، والشعراء بشكل خاص اسلوبًا يتلاعبون فيه بالألفاظ بدرجة أولى للوصول إلى المفارقة التي تصنع الدهشة على مستوى المعنى، ويستدعي لذلك كل ما تنتجه المخيلة على منح تلك المفارقة عنصر التفرد من المتناقضات والمتضادات واللامعقول.

أولا: المفارقة اللفظية: تعد المفارقة اللفظية أولى أنواع المفارقات التي يوظفها الشاعر الكربلائي في رسم صورته الشعرية إذ يقول الشاعر محمد الصفار في قصيدة قنوت (محمد طاهر.، 2013، صفحة 69):

عَلى شَفَتَيكَ اسْتِعَارُ السكوت يُرتِّلُ زَوْبَعَةً فِي قُنُـــــــوْتْ

تصُوْغُ سَنَـــــــــــابُلَكَ النَازِفَات يُلَمْلِمُهَا القَحْطُ مَوْتَاً وَقُوْتْ

ترتــقُ أَحْلامَكَ البَـــــــــاليَات تُمَزِّقُهَـــــا حِكْمَةُ العَنْكَبُوْتْ

يوظف الشاعر محمد طاهر محمد ألفاظًا تحمل دلالات متناقضة ليشعر المتلقي بجمالة المفارقة التي تحملها هذه الصورة الغزلية، ففي صدر البيت يصف الشاعر شفتي محبوبته التي تحمل الطاقة للتحريك والتغيير، فيستعر السكون وهو كناية عن فيض الإحساس عند النظر إليها أو ملامستها، أما عجز البيت فيحمل صورة مفارقة أخرى؛ لأنَّ المتلقي يجد في لفظة (زوبعة) التي تحمل دلالة الهيجان والاضطراب تغاير معنى الترتيل خاصة في فعل القنوت الذي نتوقع منه الصفاء والهدوء، أما في البيت الثاني وهو يكني عن الصورة الحسية بالسنابل النافرات للمحبوبة ويصرح عن حالة بالقحط الذي يلامس روحه، فالسنابل رمز الخير والوفرة المادية يقابلها القحط بكل ما يحمله من دلالات مغايرة ليصور عذابات الشاعر من العشق التي تصل إلى مرحلة (الحياة والموت). أما البيت الثالث فقد بُني على الثنائية الضدية أيضا؛إذ تصل صورة المفارقة إلى غايتها في صدر البيت وعجزه، ففي الصدر حملت الألفاظ صورة كنائية تعبر عن حالة الوهم أو التمني، فوصف الأحلام بالباليات يحمل دلالة سلبية، أما عجز البيت فهو يبدأ بالفعل (تمزقها)، وهو الفعل المضاد للفعل الأول فقد صنع الشاعر المفارقة من خلال توظيفه لهذه الأفعال المتضادة، أما الصورة الكلية فهي تحمل مفارقة من نوع آخر، فبالرغم من استعمال الأفعال المتضادة إلاّ أنَّ دلالة الجمل (أحلامك الباليات، وحكمة العنكبوت) منحت البيتَ الشعري الدلالة ذاتها وهو الإحساس بالضياع وفقدان الأمل بنيل المراد؛ لأنه يعيش في أحلام بنيت في بيت عنكبوت لا يستطيع أن يحقق فيها شيئًا مما يحلم فيه.

ثانيًا: مفارقة الموقف (الحدث): وتشكل المفارقة السردية على مستوى الحدث حضورًا بارزًا في الشعر الكربلائي، وهي أن تتوقع حدوث أمر فيحدث نقيضه، كما في نص الشاعر خضير درويش (درويش، 2016، صفحة 9).

بـاقٍ عـلى وجـهِ الزمـانِ ضـيائـي

يجـلو الظلامَ تهجـدي وسنائي

هـذا أنـا عنـدَ الرسـولِ بـحجـرهِ

فـبأيِّ جُـحـرٍ يختـبـي أعـدائـي

هـم أظـمؤوني والفـراتُ بـقـربتـي

واستأسدوا في حرمتي ودمائي

ظَمَئي مَهيبٌ والفـراتُ سـعى لـهُ

لـكنما رفـضَ الـفـراتَ إبـائـي

نـادى الدعـاةُ لمقدمي فـأجبتُهـم

لـكـنهـم لـم يـأبـهـوا لـنـدائـي

مـازالَ رحـلي بالـوعـودِ معَبَّأً

ومُـحـمَّـلاً بـرسـائـلِ النصـراءِ

عَجَبَي على مُتَخاذلٍ عن نصرتي

عَـشـقَ الحـيـاةَ فـبـاعـنـي بـهـبـاءِ

يبقى صوت الإمام الحسين (عليه السلام) خالدًا ويتجدد على لسان أحرار العالم عامة، والمجتمع الكربلائي خاصة، لذا يستنطق هذا النص الإمام عليه السلام بوصفه صوتًا يخاطب الضمائر، ويحرك ما جمد من عقولهم بما يلزمهم من حجج عقلية ونقلية تثبت حقيقة الأحقية وتكشف عظيم المظلومية، وفي هذا النص أحسن الشاعر في توظيف المفارقة في الحدث الكربلائي الحسيني وكأنَّه يؤكد حقيقة بقاء الإمام فكراً وعقيدة في قلوب الأحرار والمؤمنين ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل-عمران، صفحة 169)، فالمفارقة الأولى هي مفارقة الحياة والموت، عندما أراد الأعداء قتل الإمام لكنهم خلّدوا ذكره مع الشهداء، أما المفارقة الثانية في مفارقة حجاجية، إذ استعمل الشاعر أسلوب الحجاج لبيان منزلة الإمام الذي تربى في حجر النبي (صلى الله عليه وآله)، وتربى الأعداء في حجور الطلقاء وأعداء الإسلام، ويستمر السرد القصصي لأحداث كربلاء عبر الفعل وردة الفعل مما شكل المفارقة في الحدث السردي (أضمؤوني والفرات بقربي، نادى الدعاة لمقدمي، لم يأبهوا لندائي) فهذه الصور وغيرها شكلت مفارقة على مستوى الحدث، وتختتم الصورة ببيت شعري يشكل مع البيت الأول المفارقة التي تلخص ملحمة كربلاء عبر الزمن، فالحسين المقتول كسب الخلود ومن تكاسل عن نصرته أو قاتله لم يحصد سوى الفناء والخسران المبين.

قد يلجأ الشاعر إلى وضع المفارقة على مستوى بنية النص الشعري ليعكس احداثاً ومواقف متباينة كأن يصرح بالخاتمة في بداية النص، أو يضع مقدمة النص الشعري في آخر المجموعة، أو قد يصرح بعدم كتابة النص وهو مكتوب ومقروء أمام المتلقي كما في نص الشاعرة أشواق الدعمي (وجع وطن) (الدعمي، 2022، صفحة 5):

وجعك وطني أتعبني وأعياني

قد لا أكتب عنك يا وطني

فلا حروف لي على عتبات جراحك

ولا كلمات تصف ألم أرضك

وهي ترتوي من دماء أبنائها

لا رثاء لي لأبنائك

أي وجع هذا لأم أزهرت أشجارها من دماء أبنائها،

بعد أن ضمتهم أشلاء بأحضانها.

وأي حروف تداوي نزفك يا وطني وأنت في كل يوم،

تُخَضَبُ بالدم الثائر رمالك.

لن تجف أنهار أرضك يا بلدي

تعد القصائد الوطنية واحدة من أهم السمات الأسلوبية في القصيدة الكربلائية، فهي ذات نغم متردد عند الكثير من الشعراء مدحًا وفخرًا ورثاءً ووصفًا، وغيرها من الأغراض، وفي كل الأحوال يتخذ الشاعر تقنيات مختلفة ليحصل على صورة شعرية تميزه عن غيره من الشعراء، وهذا ما نجده في هذا النص للشاعرة أشواق الدعمي، إذ اعتمدت تقنية المفارقة في بنية النص الشعري وهي تكتب للوطن الذي يعد من أهم مثيرات الخيال الشعري، فتقول (قد لا أكتب عنك يا وطني) وهي قد مارست الكتابة فعلًا فأظهرت احساسها ومشاعرها اتجاه الوطن وحروفها قد وقفت على عتبات الجرح، والكلمات قد وصفت، والرثاء قد حصل، وهذه التقنية التي اعتمدت

تقنية النفي لإثبات الصورة الشعرية التي شكلت بمجملها صورة مفارقة على مستوى بنية القصيدة. ومن أمثلة المفارقة على مستوى البنية قول الشاعر خضير درويش في قصيدته (المعلم) (درويش، 2016، صفحة 11):

ما أجلَّكَ

أيُّها الكبيرُ

ما أنبلكَ

فأنتَ

تصغُــرُ

تصغُـرُ

تـــــــ

صـــ

غـــ

ر

.

.

.

ليكبُـــــرَ

الآخرون

يعد التشكيل الشعري واحداً من التقنيات التي يستعملها الشاعر المعاصر، وفي هذه القصيدة تعمد الشاعر تشكيل نصه الشعري بهذه الكيفية؛ ليعضد المعنى الذي يريده في مدح المعلم، إذ جعل بنية النص تصغر مع تقادم النص، كما يصغر عمر المعلم وهو يتفانى لتعليم الأخرين، وتعاضد المعنى اللغوي ومع التشكيل الشعري لخلق مفارقة على مستوى بنية النص الذي تصاغر حد النقطة ثم اتسع، وهذه صورة المعلم الذي يفني عمره؛ ليعلم أكبر عدد من طلابه.

يرسم الشاعر الكربلائي مفارقة الموقف بوصفها عنصرًا فاعلًا في عملية التأثير في المتلقي، ومن اهم انواع مفارقة الموقف مفارقة الشخصية، فالشخصية في أي عمل أدبي تقوم بإنتاج الحدث وتتحكم في سيره، لذا يلتقط الشاعر المفارقة على مستوى الشخصية بوصفها بؤرة يحسن تسليط الضوء عليها، كما في نص (مشهد) للشاعر نعيم الصياد (الصياد، 2012، صفحة 9):

شاعر ومطرب دخلا القاعة

المطرب..

سوره الجمهور بالتحايا والقبلات

والشاعر...

ظل وحيدا يتفرج

يرصد هذا النص واحدة من أهم الظواهر المجتمعية السلبية التي تركز على ظاهر الشخصية، وتمنحها بهرجًا زائدًا خاصة إذا ما قُورنت هذه الشخصية بشخصية أخرى تحمل بعدًا معرفيًا، فالنص يركز على تعامل الجمهور مع شخصيتين ذات بعدين مختلفين، الأولى شخصية المطرب، والثانية شخصية الشاعر، ومن خلال موقف الجمهور من الشخصيتين داخل القاعة تشكلت المفارقة. شخصية تنال الشهرة داخل القاعة وشخصية تظل وحيدة وهذا ما يؤسس لعنصر الدهشة داخل النص، لأنَّ الشاعر هو صاحب الوعي الذي يحرك حنجرة المطرب ليصدح بما يبوح به من أشعار، ويؤكد الشاعر ذاته هذا المعنى في نصه (مشكلة) (الصياد، 2012، صفحة 10):

عندما

مات الشاعر

المشكلة التي جابهتم

لا يوجد تابوت يسعه

يتآزر معنى النص السابق مع هذا النص ليؤكد المفارقة التي كانت بؤرتها شخصية الشاعر، إلا أن النص يكشف عن الإشكالية التي يتعامل فيها المجتمع مع الشاعر في حياته، وخير من عبّر عن هذه الإشكالية أبو فراس الحمداني بقوله (الحمداني، 1944، صفحة 213):

سَيَذْكُرُني قَومي إِذا جَدَّ جِدُّهُم ... وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ

ونعيم الصياد تلقف المعنى في نصه ليكشف عظيم شأن الشاعر، إذ لا تابوت يمكن أن يحتويه، فهو فكر قد شاع في نص تواردته الأسماع وكررته الألسن، فالمفارقة وجودية تكشف عن قيمة الشخصية داخل العمل الشعري، وإن لم يقدرها المجتمع في الواقع المعيش ستفرض وجودها الثقافي ولو بعد حين.

ومن المفارقات السردية التي تعتمد على الحدث اساساً لها وتزامنها مع عناصر سردية اخرى هي المفارقة القائمة على البنية الزمانية، التي تعد انحراف في الترتيب الزمني للأحداث في النص عن الترتيب الزمني الطبيعي للأحداث، والتي ظهرت في الشعر الكربلائي قول الشاعر نعيم الصياد في نصه (حقيقة مرة) (الصياد، 2012، صفحة 11):

أنظر إلى الصورة الشعاعية لجمجمتي

يا إلهي..!!!

إنها صورتي.

في هوية المستقبل !

يشكل هذا النص مفارقة على المستوى الزمني، فتثير الصورة الإشعاعية لدى الشاعر هواجس الخوف من المآل المحتوم الذي سيصير إليه جسد الشاعر، فهو ينظر إلى هذه الصورة كما ينظر إلى المرآة مع رصد الفارق الزمني بين النظرتين، فاليقين بحتمية الموت ومصير الجسد يمثل الهوية الحقيقية المستقبلية للإنسان.

وتعد المفارقة السقراطية أو ما يعرف بتجاهل العارف ضرباً شائعاً في النصوص الشعرية؛ لأنَّها "أكثر استعدادًا لقبول مثل هذه المفارقة، لاقتضائها أساليب درامية وحوارية تتيح مجالًا لخلق مفارقة سقراطية، قائمة على مبدأ التجاهل لا الجهل، أو التواضع الزائف يبديه صانع" (جابر، 2000، صفحة 165)، ومن أمثلة المفارقة السقراطية قول الشاعر علي الفتال في قصيدته (تأملات) (الفتال، 2014، صفحة 127):

تأملتُ ذا الكون من آبدِ

وأمعنتُ فيه من

الباند

فأيقنتُ أنَّ له واجداً

فصرت أُدقّقُ

في التالدِ

فقلتُ، وعقلي غدا ناشطًا:

فلا بد للكون

من واجدِ

كما أنني صرت من والدِ

فلا بد للخلق

من والدِ

ففي هذا النص ذي البعد الصوفي يضع الشاعر علي الفتال نفسه موضع الجاهل أو المتجاهل بحقيقة الوجود، فيتفكر ويتأمل آيات الله التي رآها أو سمع عنها من الأمم البائدة، وهذا التأمل قاده على مرحلة اليقين، وهنا يحصل التساؤل المنطقي، إذ كيف تنظم هذه الآيات من أخبار الأمم البائدة وأثار الأمم التالدة وهذا الكون بآياته المختلفة بدون وجود مدبر ومنظم لها هو خالق الأكوان (سبحانه وتعالى)، ومن ثم يستدل استدلالاً سقراطياً آخر في المقطع الأخير، فلا شيء يحدث بدون حادث أو سبب حدوث، كما إن للشاعر والد فإنَّ للكون خالق، وهنا تتجلى جمالية المفارقة في عملية الاستدلال وأثبات المقال.

الخاتمة :

أنَّ للمفارقة دور كبير في تشكيل بنية الشعر الكربلائي فقد أسهمت في أضفاء الطابع السردي على النص، بعد أن أتخذ الشاعر من عنصر المفارقة أسلوبًا يظهر من خلاله المتناقضات ويكشف عن قدرته الإبداعية على جمع المفارقات وتقديمها إلى المتلقي بصورة تضمن للنص تحرره من قيود الغنائية وتدخله عوالم السرد فالمفارقة في الشعر الكربلائي لم تكن فائضًا لغويًا بل كانت تقنية سردية محكمة البناء يوظفها الشاعر للهروب من الذاتية والغنائية.

المراجع :

1- احمد جبار دويل، و حسن طه رفل . (2022). المفارقة الساخرة في الشعر العراقي الحديث (سلسلة نخيل عراقي انموذجًا). مجلة نسق.

3- أشواق الدعمي. (2022). على قيد البقاء. دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع.

أندريه لالاند. (2001). الموسوعية الفلسفية (المجلد 2). (خليل أحمد خليل، المترجمون) بيروت- باريس: منشورات عويداتد.

4- تجميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

5- حسين الدايني. (2018). بريد الحرب. دمشق: دار ديموزي للطباعة والنشر.

6- خضير درويش. (2016). بكاء المناجل. بغداد: دار الجواهري للنشر والتوزيع.

7- دي. سي. ميويك. (1982). المفارقة وصفاتها. (عبد الواحد لؤلؤة، المترجمون) بغداد: دار الرشيد.

8 - سامح الرواشدة. (بلا تاريخ). فضاءات الشعرية. عمان، المركز القومي للنشر.

9- سليمة سلطان نور. (2014). نهايات الدوائر (المجلد 2). القاهرة: دار أكد للترجمة والنشر والتوزيع.

10- سيزا قاسم. (1982). المفارقة في القص العربي المعاصر. مجلة الفصول .

11- عالية خليل ابراهيم. (بلا تاريخ). الفكاهة في القصة العراقية المعاصرة، دراسة في التنويه اللغوي والصورة السردية الساخرة. اشراقات تنموية.

12- عبد الناصر حسن محمد. (2002). نظرية التلقي بين ياوس وإيزر. القاهرة: دار النهضة العربية.

13 - على الفتال. (2014). ديوان على الفتال. بغداد.

14- فراس الحمداني. (1944). ديوان أبي فراس الحمداني. (جمعة سامي الدهان، المحرر) بيروت: المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية.

15- محمد طاهر محمد. (2013). تنزف التراتيل انفاسه. بغداد: دار الفراهيدي للنشر والتوزيع.

16- محمد لطفي اليوسفي. (1985). بنية الشعر العربي المعاصر. تونس: دار سراس للنشر.

17- ناصر يوسف ابراهيم جابر. (2000). المفارقة في الشعر العربي الحديث، محمود درويش، أمل دنقل، سعدي يوسف نموذجًا. الاردن: اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.

18- نعمة مخيلف فهد، و فليح داود شيماء. (2012). الصورة الساخرة عند الشعراء المحدثين العباسيين. مجلة الباحث مجلد 3، عدد 1.

19- نعيم الصياد. (2012). أوراق من خريف التقاويم. القاهرة: كد للنشر والترجمة والتوزيع.

20- نواف نصار. (2011). معجم المصطلحات الأدبية. عمان: دار المعتز.

Abstract

Paradox is a mental act deeply rooted in the psyche that formulates it, making the construction of a text based on irony closely linked to an issue intertwined with human thought and its surrounding existence. Its events and components are marked by contradiction, opposition, and sarcasm, representing a form of linguistic elegance. This study aims to explore the methods of employing irony in modern language to indicate opinions that oppose conventional beliefs or express strange viewpoints not genuinely held by the speaker but defended to gain admiration. Writers, poets, and artists use irony as a creative technique when all other means of persuasion fail, arguments are exhausted, and objective criticism falls short. It is the essence of modernity and openness, capable of constructing a new imaginary world upon the ruins of lived reality.

Given its significance in contemporary critical studies, this research focuses on irony in modern Karbala poetry using an analytical artistic approach. Through this study, the research concludes that irony in Karbala poetry is not merely linguistic excess but rather a well-structured narrative technique employed by poets to escape subjectivity and lyricism. This analysis builds on previous critical studies, such as **Muecke's irony and its attributes**, and **Nasir Yusuf's work on irony in modern Arabic poetry**, among other significant studies.

The research is divided into an introduction discussing irony, followed by two main sections: the first exploring irony and breaking the horizon of expectation, and the second examining different types of irony.

.Keywords:** Irony, Breaking the Horizon of Expectation, Modern Karbala Poetry**